

الطالب الجامعي والقراءة في الجزائر

-دراسة ميدانية -

د/ عبد النور أرزقي

جامعة البويرة

تمهيد:

لا يختلف اثنان حول أهمية و دور القراءة في حياة الإنسان، وهي كنشاط فكري لا تخص مرحلة من مراحل العمر دون غيرها ، إنما نحتاج إليها عبر كل أطوار أعمارنا ، بها تنمو العقول و تربي القدرات و تكسب المهارات ، وبها تدرك الأمور و تستحضر حياة عصور مضت ، كما تتبادل التجارب والخبرات وتنقل الأخبار . لا فائدة لمنتوج علمي أو أدبي أو تكنولوجي إذا لم يطلع عليه الغير ويستفيد منه عامة الناس ، و القراءة إحدى وسائل الاطلاع الهامة ، هي إذن أداة سحرية تساعد الأمم على التقدم والتطور، وقد قيل في القديم : شعب يقرأ شعب لن يجوع و لن يستعبد .

أدركت الدول المتقدمة دورها فشجعتها عبر مختلف مؤسساتها ومختلف منشأتها الاجتماعية حتى أصبحت فعلا واقعا أو سلوكا تلقائيا ، نجد الفرد لا يبرحه صديقه الوفي ، الكتاب ، في أي مكان وفي كل حين . أما نحن في دول العالم الثالث عموما و الدول العربية خصوصا فلا نعي حقيقتها بل لا نمارسها ... لم ندرك بعد حكمة بداية القرآن الكريم بكلمة اقرأ .

لماذا لا نشعر بالحاجة للقراءة ؟

لماذا لا نجد الرغبة في القراءة ؟

لماذا لا نحب القراءة ؟

كيف نفسر العزوف الخطير و الغريب عن فعل القراءة ؟

ما هي محددات فهمنا الخاص لفعل القراءة ؟

تحديد مفهوم القراءة :

القراءة كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي قرأ ، يقرأ قراءة وقرأنا ، واقتراً الكتاب معناه نطق بالمكتوب فيه أو ألقى النظر عليه و طالعه (المنجد في اللغة و الأدب و العلوم ، ص17)، و هي سلوك إنساني مرتبط بالعديد من المجالات المعرفية و الكثير من التخصصات ، و هي أيضا نشاط ذهني معقد يتطلب عدة قدرات و أنشطة كالتركيز، اليقظة ، الانتباه ثم التحصيل و التخزين (الذاكرة) ، هذا إلى جانب توظيف حاسة البصر و في حالات خاصة اللمس و السمع ، و لذلك فإنها كموضوع يشهد شساعة مجالات البحث فيه ، و أيضا تعدد الأطر النظرية . في هذا الشأن يقول رولاند بارنس بأن كل وصف علمي حتى وإن كان متعدد الأوجه لا يستنفد ظاهرة القراءة (Barthes Ronald 1973 p-616)

القراءة عملية بنائية ، أي لا يوجد نص يفهم ما لم نستند إلى معرفة سابقة عن موضوع النص فعند قراءة النص ومحاولة فهمه يعتمد القارئ على ما يخزنه من المعرفة حول موضوع النص . و هي من الوسائل الهامة التي تتقن الإنسان في مختلف العلوم و مختلف المجالات ، كما تؤدي إلى تغذية الفكر و تنميته ، وبها نسافر عبر الأزمنة و الأمكنة ونكتشف العادات و التقاليد و نحيا أنماط الحياة المختلفة لدى الأجناس والأمم.

مفهوم القراءة مفهوم مركب ، يأخذ مرجعيته من عدة تخصصات علمية ومعرفية كعلم الاجتماع التربوي، السيميولوجيا ، علم اجتماع الترفيه ، علم الاجتماع الأدبي ، البيولوجيا وعلم المكتبات و كذلك علم النفس لاسيما التحليل النفسي ، والقراءة كوسيلة تُمس كل المجالات العلمية و الأدبية ، لا يمكننا الاستغناء عنها في أي وقت ، وكفعل لا تقتصر لا على الجنس ولا على عصر ولا على فئة عمرية . و هي نتاج شروط وسياقات اتصالية وتبادلات داخل المجتمع البشري

(عبد الإله عبد القادر، 2008، ص9)

أما عن معناها أي المعنى الذي يعطيه الفرد أو المجتمع لها فمرتبط بالظروف المادية لإنتاج وتشغيل وسائط القراءة ، التقليدية والحديثة ، وبالمستوى الثقافي والحضاري للمجتمع ، وطبعا لها وظائف عديدة تتضح " بعدم تقليصها إلى واحدة من وظائفها ، فكل الظروف المؤدية للكفاءة ، الاتصال، الترقية و اللذة موجودة فيها

(Passeron,JC,1991,p 336)

ولذلك ولظهور الوسائط التكنولوجية الحديثة يأخذ مفهوم القراءة معنى آخر وأوسع وهو الوصول للمعلومة بأية وسيلة : ورقة كانت ، صورة أو حتى إشارة.

أهمية القراءة :

إذا كان للجسم حاجة لمواد بروتينية وفيتامينية ، يعيش بها ، ينمو بها ويجدد طاقته فإن للفكر غذاء خاص يتطور به أيضا وينمو ألا وهو المطالعة أو القراءة ، وقد أدرك الكثير من الأمم هذه الحقيقة و دأبت على ترسيخها في عقول أفرادها و تجذيرها في ثقافتها . ما من حضارة تبوأ مكانة مرموقة إلا ووجدنا عند تعرضنا لتاريخها مكانة بارزة للقراءة في يوميات أبنائها وفي برامجها التربوية و الفكرية . فالمورد البشري ، عماد التطور، لن يكون ذو قيمة ما لم يع مكانة القراءة . لكل هذا فقد جاء أول

خطاب من رب العالمين لخليفته في الأرض القراءة وعلى صيغة الأمر، و قد ذُكرت الكلمة في القرآن الكريم في 17 موضع (مُجد فؤاد عبد الباقي، ص539)

و لكون العلم لن يأتي بغير القراءة فقد جاء فيه 915 نص بمختلف صيغه كعلم ، يعلم ، عليم ، اعلم ، تعلمون ... (نفس المرجع ، ص569)

و بوأ الدين الإسلامي العلماء مكانة لا تضاهيها سوى مكانة الأنبياء ، و جعل دأبهم جهاداً ورسالتهم إنارة العقول و قيادة الأفكار .

تظهر فوائد القراءة في :

- ✓ كونها متعة للنفس ، يروح الإنسان عن نفسه و يخلق بها فسحة للراحة .
 - ✓ غذاء للعقل .
 - ✓ تجاوز فوارق الزمان و المكان ، فيعيش الإنسان أعمار السابقين ، و يتجول معهم أينما كانوا و أينما ذهبوا .
 - ✓ استحضار خبرات السابقين والاستفادة بنصائحهم و توجيهاتهم ، نطلع على خبرات أعلام لسنين عديدة .
 - ✓ التنقل من عالم ضيق محدود إلى آخر واسع .
 - ✓ تجاوز الحدود الجغرافية و الفوارق الاجتماعية والاختلافات الحضارية والثقافية .
 - ✓ كسر حواجز اللغة والحدود الدينية .
 - ✓ خلق صداقات مع علماء ، أدباء و مفكرين .
 - ✓ خلق عالم مثالي لكون المؤلف لا يكتب سوى أجود وأحسن ما لديه من أفكار و آراء .
 - ✓ توسيع وتقوية الإمكانات اللغوية والتعبيرية .
 - ✓ اكتساب مهارات لغوية كالاستماع المتأنى والفهم الجيد .
 - ✓ تعلم تقنيات و أداب الاتصال والتواصل .
- أصبحت القراءة عنصراً فعالاً من عناصر التقدم العلمي ، و ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمردود والإنتاج .
- (حنفي بن عيسى، 1980، ص261)

و نظراً للتطور التكنولوجي الهائل والانفجار المعرفي الذي يشهده العصر الحالي فقد اتسع مفهومها لتصبح عقلية ، انفعالية تشمل تفسير الرموز والإشارات وتربط بين الخبرة السابقة وهذه المعاني . خرجت من مفهومها التقليدي الذي بات لا يفي بحاجات العصر لتصبح ابتكارية ، حوّلت الكتاب لمصدر تفكير وإبداع .

أهداف القراءة :

للقراءة أهداف كثيرة وعديدة يمكن إجمالها في :

1. **أهداف وظيفية :** ترتبط بتخصص الفرد ومهنته أو رسالته في الحياة . يقرأ الفرد كتباً بهدف تطوير قدراته المهنية أو التمكن من أداء رسالته أو مهمته على أحسن وجه . وطبعاً بذلك يطلع على تجارب من سبقوه وعلى نصائح أعرف الناس بها. غالباً ما تكون مرتبطة بأمور وجوانب تقنية .
 2. **أهداف ثقافية ومعرفية :** يتقف الفرد من خلالها نفسه ويزيد من معارفه ، ترتبط بالثقافة العامة أي بكل الأمور لكن بشكل غير متخصص . لا تتطلب تخصصاً معيناً ، ولا أسساً مسبقة.
 3. **أهداف تطويرية :** وهي قراءة ما يصلح الشخصية ويدعم و يقوّى المواهب ، وطبعاً للكثير مواهب في مجالات معينة ، و المواهب تبقى محدودة إن لم ترب و تقوّى ، كأن يقرأ من يملك موهبة الرسم كتباً عن الرسم و يطلع عن إنتاجيات كبار الرسامين.
 4. **أهداف ترويحوية :** نقرأ في أوقات معينة كتباً للترويح عن النفس والتخلص من أعباء ومشاكل الحياة اليومية ككتب القصص ، النادر والأعاجيب ، هي كبقية وسائل الترويح كالسفر ، السينما والمسرح .
 5. **أهداف دينية :** نقرأ من حين لآخر كتباً بهدف التعبد والتقرب من الخالق كالقرآن الكريم و كتب الحديث و التفسير .
 6. **أهداف واقعية :** بهدف التكيف مع الواقع ومواجهة بعض الوضعيات المستعجلة نلجأ لقراءة ما كُتب عنها ، كقراءة المقبل على مسابقة ما عن كيفية التحضير للامتحان ، كيفية التعامل معه ... أو كقراءة العروس لبعض الكتب المتضمنة نصائح عن الزواج وقراءة الحامل لكتب عن صعوباته ، استقبال الطفل ...
- و الملاحظ أنه رغم هذا التقسيم إلا أنه يمكن أن تشمل قراءة واحدة على عدة أهداف ، قد نحقق مثلاً من قراءة كتاب أهدافاً ترويحوية وأهدافاً معرفية في آن واحد . كما أن البعض لا يبرمج أو يسطر تحقيق هدفاً أو أهدافاً إنما يقرأ لتعوده عن القراءة منذ الصغر أو لإدراكه أهميتها فقط.

الشباب و القراءة :

أمر طبيعي أن تتغير الاهتمامات بالقراءة بتغير وتطور الأذواق ، لأن القراءة ذوق قبل كل شيء ، ومن المفروض أن تزداد بازدياد الاكتشافات والاختراعات التقنية والتكنولوجية وزيادة الكتابات لكون الإنسان بطبعه محب للاطلاع والمعرفة ، وانتشار القراءة عند الشباب نتيجة منطقية لهذه المعادلة . لكن يختلف مداها أيضاً باختلاف المجتمعات واختلاف الاهتمام بها ، والإنسان في مرحلة الشباب غالباً ما لا يرضى بالمفروض ويتمرد على المألوف ، وعلى ذلك " يميل للأشكال الثقافية الجديدة ويبتعد عن الكتب المدرسية (F.de singly , 1993,P.7)

و تزداد هذه الملاحظة في المجتمعات التي لا يثق أفرادها في منظومتها التربوية ولا يسايرون توجهاتها المدرسية . و المؤكد أن للمدرسة دور كبير في تراجع نسبة المقرئية أو ارتفاعها ، إضافة إلى ذلك فإن للأسرة الدور الأكبر في غرس حب القراءة و ذلك عن طريق الآباء كتنويع الأبناء على

ذلك منذ الصغر كقراءة كتاب على طفل يهيم للنوم* ، أو إرغامه على قراءة صفحات من كتاب قبل النوم بعدما كبر شيئا ما ، لتصبح القراءة عادة راسخة لديه . إضافة إلى أمر هام آخر وهو ما يندرج في ما اسميه التربية بالمحاكاة ، الطفل يتربى أو يتعلم عادات و مهارات بمحاكاة أبويه أو الراشدين المحيطين به . مجرد رؤية أحد الأبوين يقرأ كتاباً أو مجلة أو جريدة كل يوم مثلاً ، أو وجود مكتبة بالدار يجعلانه يحاكيه في ذلك ، بالوقت تترسخ العادة ، حتى تصبح فعلاً أو سمة شخصية . عادة القراءة مرتبطة بالعلاقة بين المؤسسة المدرسية والتنظيم الثقافي للمجتمع ، والواقع أن القضية متشابكة العلاقات ، مبنية على جملة من التفاعلات بين هذين الفئتين : المدرسة و الأسرة ، وبروابط اجتماعية ، ثقافية وتاريخية . و كملاحظة أولية يبدو فعل القراءة ضعيف التجذر في الأسرة الجزائرية بشكل عام ، و انتشاره لدى فئة الشباب الجزائري يكاد يكون منعدماً .

• قد يبدو ذلك مجرد إمتاع الأطفال لكن وراءها فوائد كثيرة وهي :

- إثراء لغتهم .
- اكتسابهم مهارات لغوية كالاستماع الجيد والفهم .
- تعليم الاتصال .
- تعلم أحكام القراءة و حركاتها الأساسية كشد الكتاب وتصفحه .
- تقوية قدرة التحصيل و لتخزين .
- تقوية حاسة الاستماع .
- تنمية التركيز والانتباه .
- تعليم مبادئ القراءة كمتابعة الجملة ، التوقف ...
- هذا إضافة إلى تقوية معارفهم وتوسيع ثقافتهم .

القراءة في الوطن العربي :

تكشف المقارنة بين الدول الأوروبية والدول العربية بأن وضع القراءة في العالم العربي مزر ، إذ نعاني من قلة القراءة ، ليس المتخصصة فحسب إنما في كل الأنواع كالمعلقة بالطبخ ، القصص ، الجرائد وغيرها . أفاد تقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة حول اتجاهات وعادات المطالعة والقراءة لدى الشعوب أن:

- حصة العالم العربي كله ربع صفحة مقابل 11 كتاب للفرد الأمريكي سنوياً ، و 08 للبريطاني .
- معدل القراءة في الوطن العربي لا يتعدى 04 % من معدل القراءة بانجلترا .

وفي أمور مرتبطة بالقراءة وتوفير شروطها فإن العرب لا ينتجون سوى كتاباً واحداً لكل 12 ألف مواطن مقابل كتاب لـ 500 فرد انجليزي وواحد لكل 900 ألماني .

وأكد أيضا التقرير العربي للتنمية الثقافية بأن معدل الالتحاق بالتعليم عند العرب هو 21.8% بينما في كوريا الجنوبية 91% ، استراليا 72% وإسرائيل 58% . ويؤكد " جمال الملا " ، الخبير في تنمية وإدارة الموارد البشرية بأن إصدارات 22 دولة عربية أقل من إصدارات دار نشر واحدة في الدنمارك

والنمسا . وإذا كانت القراءة سلوك وثقافة فإن صورة الأب والأم وهما يمارسان القراءة داخل الفضاء الأسري ، أمام ومع الأبناء غير واردة بصفة واسعة (Abdelkader Bencheikh , 1985)

وبيلغ مجموع المواقع العربية المسجلة على الانترنت 41714 حسب إحصاءات 2007، ولا يمثل هذا الرقم سوى 2.02 % من إجمالي المواقع العالمية (جريدة الحياة ، 2008)

كما أثبت بأن الطفل العربي لا يقرأ سوى 06 دقائق في كتب خارج البرامج المدرسية ، رغم ما للقراءة والمطالعة خارج المنهج من فائدة وإضافة على المستوى التعليمي للتلميذ ، وبالمقابل معدل ما يقضيه أمام التلفاز أعلى مما يقضيه الطفل الأمريكي والأوروبي ، ويقرأ كل عشرين عربي كتابا واحدا في العام ، في حين يقرأ البريطاني لوحده سبعة كتب والأمريكي 11 كتاب (www.alsyasiah.net)، وبعملية جداء نجد بأن ما يقرأه البريطاني يعادل ما يقرأه 140 عربي ومعدل ما يقرأه الأمريكي يساوي ما يقرأه 220 عربي . أما بالنسبة للصحافة التي تعدّ من أقرب وأسهل مصادر القراءة فحسب إحصاءات 1997 نجد 14 صحيفة لكل ألف ساكن في مصر، 08 في الأردن و 05 في عمان بينما في الولايات المتحدة الأمريكية 1509 صحيفة (Ibid)

يحدث هذا في أمة دينها بدأ بكلمة اقرأ ، وضع يفسر ويبرر مستوى التخلف الذي يريخ فيه . وبدعاية فكرية نستنتج بأن الشعوب العربية التي لا تقرأ ، وإن لم تجوع بسبب ما تزخر به أراضيها من ثروات ، فإنها مستعبدة ولو بشكل حديث غير الاستيطان . وإن كان هذا وضع الفرد العربي عموما فإنه بالنسبة للشباب يدعو للقلق ويستوقفنا جميعا : أباء ، مسئولين ، مثقفين وغيورين على أوطاننا ويدفعنا للاهتمام والبحث في أسبابه ودواعيه .

وطبعا الأسباب كثيرة ومتنوعة ذات صلة بالمستوى الثقافي ، الاجتماعي والاقتصادي منها :

- الوضع الاقتصادي لبعض الأسر، الذي لا يسمح بشراء الكتب .
- انتشار الأمية التي تبلغ أعلى المستويات في بعض الدول كموريتانيا ، جيبوتي واليمن .
- انتشار الجهل كترك الكثير من التلاميذ للمدرسة في سن مبكرة .
- سيادة الاتصال الشفهي لاسيما في الأوساط الشعبية .
- تدهور مكانة الكتاب والقراءة في السلم الاجتماعي القيمي .
- اعتبار الدراسة وضمنها القراءة الوسيلة الأقل ضمانا للعيش الكريم أو تحقيقا للوضعية الاجتماعية المريحة.
- قلة المرافق المشجعة لاقتناء الكتاب ، والتي تخلق الجاذبية للقراءة كالمكتبات ، قاعات المطالعة ومناعبها كدور الثقافة .
- إشكالية اللغة في بعض الدول ، حيث النزاعات اللغوية وحتى إجحام البعض عن القراءة باللغة بسبب موقف نفسي وسوسيولوجي ، في الوقت الذي من المفروض أن ينظر لتواجد أكثر من لغة كغنى وتفتح

للعالم وثقافته. " ففي الجزائر مثلا تشهد واجهات المكتبات على ثنائية لغوية متجذرة تهيكّل العلاقات الاجتماعية والثقافية " (عبد الإله عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 20)

والملاحظ أنه إذا ما وُجدت القراءة كثقافة فمهما غابت أسباب تشجيعها أو حضرت أسباب العزوف عنها فإن الفرد يبقى يمارسها . والصورة تنقلب في الوضعية المعاكسة ، إذ حتّى وإن وُقرنا كلّ أسباب القراءة فإن لم نؤمن بها ستبقى قليلة و بسيطة. وهي الصورة السائدة في دول العالم العربي ، مما يستلزم عملا جبارا واستراتيجيات كبيرة جادة لتغيير معنى القراءة ، يقع على عاتق المنشآت الاجتماعية وعلى الدولة ككل .

المنهجية :

لاعتبار الشباب عماد الأمة ومستقبلها ، ولكون الطلبة القوّة المحددة لواقع كلّ مجتمع ، ولكون الطالب بشكل عام والجامعي بشكل خاص أحد الأفراد الذين تفرض عليهم حياتهم ودورهم القراءة الدائمة ، فقد اهتمنا بهذه الشريحة . لاحظنا في يومياتنا الجامعية خلال ممارسة ومعايشة لسنوات طوال غياب ثقافة القراءة وعزوفًا كبيرًا لطلبتنا عن هذا الفعل الأساسي ، الذي لا يمكن لا لهم ولا للجامعة التطوّر دونه . تُعدّ الجامعة واجهة المجتمع ، إذا غابت بها القراءة غاب دورها الريادي أو وهن ، ودلّ أيضا عن دنو مكانة القراءة وحتّى العلم في المجتمع بأكمله .

انطلقنا من أسئلة مرتبطة بالموضوع وهي :

✓ ما هو واقع القراءة في الجامعة الجزائرية ؟

✓ ما قيمة وأهمية القراءة لدى الطالب الجزائري ؟

✓ كيف نفسّر العزوف الخطير والغريب عن فعل القراءة في الجامعة ؟

✓ ما نوع القراءة المفضلة لدى الطالب الجزائري ؟

اعددنا استبيانًا لجمع المعطيات يتكوّن من أربعة محاور هي :

- المحور الأول حول واقع القراءة لدى الطلبة .
- المحور الثاني حول أهميّتها ، أي مدى إدراكهم لأهميّتها في الحياة بشكل عام وفي حياتهم بشكل خاص .
- المحور الثالث يبحث في أسباب العزوف عن القراءة .
- أما المحور الرابع فحول نوع القراءة المتوفر في الوسط الجامعي .

طبّقناه في جامعة أكلي محند والحاج بالبويرة ، وقد مس عيّنة تتكوّن من 140 طالبا ، أختيرت عشوائيا . وقد تعمّدنا مس مختلف التخصصات المتوفرة ، أي العيّنة النهائية طبقية عشوائية ، 35.71% منهم ذكور و 64.28% إناث وهي صورة تعكس تشكيلة مجتمع الطلبة لاسيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية . أما بالنسبة للسن فأغليبتهم تتراوح أعمارهم بين 20 و 24 سنة (61.42%)، بينما 27.14% أكثر من 24 سنة و 11.42% أقل من عشرين سنة . أما بالنسبة للتخصصات فكانت : علوم اقتصادية (25%) ، علوم اجتماعية (19.28%)، علوم إنسانية (17.85%)، أداب ولغات (14.28%)،

حقوق و علوم سياسية (14.28%) و علوم وتكنولوجيا (09.28%) .

عرض النتائج وتحليلها : جاءت النتائج على النحو التالي :

- واقع القراءة لدى الطلبة :

مثملا يظهر في الجدول أدناه فإن نسبة 42.85% من الطلبة قرأت أقل من عشرة كتاب في حياتها،

الممتدة طبعاً على سنوات طوال أقلها أربعة عشرة سنة (دون حساب سنوات ما قبل المدرسة ، وإذا كان الطالب في الأولى جامعية) ، بمعنى أقل من كتاب واحد في السنة .

جدول رقم (01): متوسط عدد الكتب المقروءة

عدد الكتب المقروءة خلال الحياة	ت	%
أقل من عشرة	60	42.85
العشرات	30	21.42
المئات	04	02.85
ولا كتاب	46	32.85
المجموع	140	/

الوضعية خطيرة ونحن نتحدث عن شريحة مطالبة بالقراءة والمطالعة الدائمة .

والأخطر أن نسبة 32.85% أكدت عدم قراءتها ولو لكتاب ، بمعنى ربع مجتمع الطلبة . وفي السؤال المالي الخاص ببيومية القراءة (Quotidieneté) أكدت نسبة 84.28% بأنها لا تقرأ يومياً . وإذا اهتمنا بوسيلة أخرى وإن كانت غير دقيقة ، و هي الجريدة فإن نسبة 71.42% من الطلبة لا تطلع عليها ... أمر غريب أن لا يطلع الطالب على الجرائد ؟ !

أما في ما يخص متوسط الوقت الذي يقضيه الطالب في القراءة فجاءت النتائج كما يلي :

جدول رقم (02) : متوسط الوقت المستغرق في القراءة

متوسط الوقت الذي يمكن قضاءه في القراءة	ت	%
نصف ساعة	50	59.28
ساعة	83	35.71
ساعتين فأكثر	07	05
المجموع	140	/

أكبر نسبة (59.28%) لا تخصص للقراءة سوى نصف ساعة ، أما بالنسبة لساعتين أو أكثر فلا تتعدى النسبة الـ 05 % .

المسلم به هو أن الاهتمام بالقراءة يتغير بتغير المسار الحياتي للفرد ، وتبعاً لذلك تتطور الأذواق . وعلى ذلك فمن المفروض أن تصبح القراءة لدى الطالب سلوكاً وهي نتيجة منطقية لنمط حياته ، بل تنشأ لديه لذة

وميلًا كبيرين ، وإلا أصبحت مجرد نشاط . وإذا كان واقع القراءة في الجامعة ولدى طلبة العلم بهذه الصورة فكيف يمكن أن تكون لدى عامة الناس ؟

- إدراك القراءة من طرف الطلبة :

يختلف المعنى الذي يعطى لكل شيء من مجتمع لآخر ومن فرد لآخر ، ومعرفة معنى القراءة من أهم الخطوات التي تدل على مستوى القراءة ونوعها ، والتنبؤ بمستقبل المجتمعات إنما ينبني في أغلبيته على معرفة معنى القراءة الحالي لأن الفرد يتحرك ضمن المعنى الذي يعطيه لها ، والمجتمع يضمن بقاءه في مسار المنافسة بفعل ما يتلقاه أفراداه من نتائج العلم والتكنولوجيا .

أكدت نسبة 67.14% بأن القراءة تعني لديهم التنقيف والتكوين بينما 14.28% لا تعني شيئا لديهم . وهو أمر يدل على مستوى الوعي . ويرون أيضا بأنه لا يمكن للطلاب النجاح بالاعتماد فقط على ما يقدمه الأستاذ (91.42%) ، كما يؤكدون بأن القراءة بالنسبة إليهم كالأوكسجين ، دونها لن تستمر الحياة ولا يؤمنون بأنها مرتبطة فقط بالدراسة (85.71%) .. لكن رغم ذلك فإن واقع القراءة لديهم مزري مثلما رأينا في المحور الأول ، وضعية تدفعنا للسؤال والبحث عن أسباب العزوف عنها .

- أسباب العزوف عن القراءة :

لاشك أن الاقتناع بالقراءة والإيمان بدورها التربوي والثقافي يجعل الفرد لا يشعر بأي إحراج وهو يمارسها ، بل يجد لذة ومتعة ويشعر بالاعتزاز والفخر . إلا أن الطالب الجزائري- حسب عيّننا - يجد إحراجا في قراءة كتاب في أمكنة عمومية كالساحات، الحدائق أو وسائل النقل

(75.85% مقابل 24.15% مع تأكيد اختبار كاف تربيع لدلالة الفروق). ومن الأسباب التي ذكرت :

الدور السلبي لوسائل الإعلام ، 80.74% ترى بأنه لا فائدة من القراءة بوجود وسائل الإعلام كالتلفزة والانترنت ، في الوقت الذي من المفروض أن يلعب الدور الإيجابي : تدعيم وتنمية حب القراءة . أما في ما يخص الوضعية الاقتصادية فليست عائقا في شراء واقتناء الكتب (71.42%) ، إنما السبب إذن أكبر من مجرد تدني القدرة الشرائية . ومن الأمور الهامة والخطيرة التأكيد على أن الجو العام للجامعة لا يشجع على القراءة وبنسبة 84.28% ، وطبعًا يتكوّن الجو العام للجامعة من متغيرات عدة ، متشابكة ومعقدة كنوعية التدريس ، التقويم ، واقع البحث ... وإلى جانب ذلك أكدت نسبة 65% عدم تعودها على القراءة في الأسرة ، أما عن الأسباب فهي :

41.76	38	قليلًا ما رأيت الوالدين يقرآن
21.98	20	عدم حثهما لي على القراءة
36.26	33	لا تتوفر في الدار ظروف القراءة
00	00	أخرى
/	91	المجموع

وحثّ الجو العام للمجتمع لا يبعث على القراءة (90.71%) وذلك لسمة المادية التي طغت عليه ، وقد أكدت نسبة 75.71% بأن ليس للكتاب والقراءة مكانة في السلم القيمي لمجتمعنا .

يعد المحيط الأسري أول محيط يواجهه الفرد في حياته وبالتالي المجال الخصب والمناسب لبعث وتربية الميول والاتجاهات ، وإذا لم يكن للكتاب مكانا فيه حضورا وتعاملا فلن يتربى الطفل على حبه ومصاحبته . ولكون المدرسة ثان محيط بشساعة أفقه وأهميّة برامجها ومناهجها فإن علاقة الطفل به ستتحكم في مساره وتتدخل في بناء مهارته لاسيما مهارة القراءة والمطالعة . ولا شك أنّ القراءة كمهارة ترتبط ارتباطا وثيقا بالتربية الأسرية والمدرسية ، ولا تصبح مهارة ثابتة فعالة إلا إذا تأصلت لديه كسلوك اجتماعي ، وهي ليست عملية فطرية أو وراثية إنّما سلوك مكتسب ناتج عن اتجاهات إيجابية . وبعلاقة متعدية فإنّ للقراءة دور هام في بناء شخصية الإنسان وفي تطوّر المجتمعات وتقدمها . لكن لا يمكن للأسرة والمدرسة بمفردهما الإيفاء بالغرض ما لم تصاحب مجهودتهما باهتمام عام من طرف المجتمع بكلّ جوانبه : الإعلامية ، الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية . ينبغي أن تكون القراءة سلوك ثقافي ، وينبغي على المجتمع أن يخلق لدى أفرادها حب القراءة وغرس الوعي بأهميتها ، ثم المحيط المشجع عليها لأنّ الرغبة في القراءة تنشأ من موقف ثقافي معيّن .

- نوع القراءة في الوسط الجامعي :

أكد الطلبة بأنّ أغلبية الكتب التي يقرؤونها مرتبطة بالتخصص (72.14 %) ، مما يعني أنّهم يقرؤون من أجل الامتحانات والشهادات . أما بالنسبة لنوع القراءة المفضلة فهي الورقية (64.28 %). وعن اللغة جاءت العربية في المقام الأول (78.57 %) ، ثم الفرنسية (18.57 %) فالإنجليزية (02.85 %) وهذا ربما يتماشى مع التخصصات إذ 90.71 % تخصصات تدرس باللغة العربية .

إذا كان من الطبيعي أن يقرأ الطالب الكتب المرتبطة بتخصصه أكثر فإنّ الأمثل أن يقرأ كتباً أخرى ، من شأنها أن تثقّفه وتكوّنه . هذا يؤدي بنا للحديث عن القراءة الحرّة التي تعد من النشاطات الأساسية والوسائل الهامة في كسب المعرفة والإطلاع على آخر النتائج العلمية والتكنولوجية ، وهي تتمثل عادة في ما يقرأه الفرد خارج أوقات دراسته وأعماله وخارج تخصصه . وإذا كان مؤكداً بأنّ أيّ نهضة لا تقوم دون الارتكاز على العلم والمعرفة فإنّ غرس حب القراءة الحرّة لدى الأفراد يُعد حجر الأساس في أيّ نمو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي ، والأمر يزداد تأكيدا لدى شريحة الطلبة والجامعيين بصورة عامة باعتبارهم قادة التنمية . ولا شك أنّ لها دورا في إثراء الزاد العلمي والمعرفي إلى جانب كونها نمطا من أنماط التعليم ، كما أنّها تنمي الاستعدادات والمهارات وتثري الرصيد المعلوماتي واللغوي وتدعم ما يؤخذ في المدرسة والجامعة . لم تبلغ نسبة القراءة الحرّة سوى 27.85 %.

نحو استراتيجية تحبيب القراءة :

يهدف تحبيب القراءة عند الفرد الجزائري عموما نفترض جملة من التدابير والحلول :

✧ على مستوى الأسرة :

- لقوة ارتباط الطفل في سنواته الأولى باللعب ، ينبغي جعل الكتاب لعبة : أيجاد في الدار الكتب التي على شكل لعب ، مجسمات ، دمي تمثل شخصيات القصص والروايات ...
- تقديم الكتاب كهدية في المناسبات مثل عيد الميلاد ، يوم الطفل ، الإختتان ...
- قراءة القصص على مسمع الطفل قبل النوم من أحد الأبوين . ومطالبتها أحيانا بقراءتها والاستماع إليه .

- غرس لديه عادة القراءة قبل النوم : كتابا أو مجلة أو جريدة .
- إنشاء مكتبات بالمنازل .
- تخصيص للطفل ركنا بمكتبة المنزل ، وتشجيعه على الاعتناء به تنظيما وتزويدا .
- تشجيع الأبناء على تخصيص جزءا من مصروفهم لشراء الكتب والمجلات .
- اصطحاب الأبناء لزيارة معارض الكتب .
- تنمية فيهم عادة ارتياد المكتبات .
- إدراج في الحديث اليومي كلاما عن أهمية القراءة .
- جعل من القراءة أمامهم عادة يومية ، أو التظاهر بالقراءة إن كان الأب أمي .
- تسجيلهم بمكتبات البلدية ، دور الشباب وتشجيعهم على ارتيادها .
- على مستوى المدرسة :
- إجراء مباريات في القراءة : اختيار نص وقراءته جهرا ثم ينقط فيثمن بهدية .
- تخصيص حصّة كاملة للقراءة .
- إحياء حصص المطالعة التي كانت تنظم بعد الغداء في الدارليات ، يشرف عليها مساعدو التربية .
- إنشاء إذاعات مدرسية وبرمجة حصص للقراءة .
- تنظيم زيارات جماعية للمكتبات العمومية .
- إقامة معارض مدرسية للكتاب .
- إدراج تعليم مهارات القراءة ضمن برامج التعليم التحضيرى ، مع تدريب معلميه عليها .
- إجراء مسابقات في تلخيص الكتب .
- تقديم كتب كجوائز نهاية السنة ، وتمكين المعلمين من تقديمها فور كلّ تفوّق .
- على مستوى المجتمع ككلّ :
- بناء مكتبات عمومية وتوسيع وإثراء الموجودة .
- إيجاد مكتبات في كل المؤسسات : المدارس ، المساجد ، دور الثقافة وحتى الإدارات والمؤسسات الإنتاجية .
- تشجيع إنشاء المكتبات الأسرية كتخصيص منحة لها عبر راتب الأب ، تقديم كتباً بالمجان ...
- إنتاج حصص تلفزيونية وإذاعية تشجع على القراءة ، وتعمل على إقامة علاقة حميمة بين الناس والكتاب .
- تشجيع تأليف كتاب الطفل وتسهيل نشره .
- تخصيص أماكن بالحدائق العمومية للقراءة : قاعة صغيرة بكراسي مع جرائد ومجلات وبعض الكتب .
- إنشاء مدارس ومعاهد تعليم مهارات القراءة .
- تزويد وسائل النقل الجماعية : الحافلات ، القطارات: الميتر و الترومواي بمجلات وجرائد ..
- أو إيجاد مكتبة صغيرة داخلها .
- تنظيم مهرجانات للقراءة والمطالعة .

خاتمة :

إذا كانت مهارة القراءة من شروط التعلّم والدراسة فإنها ضرورية في يوميات أيّ مجتمع . ينبغي أن تتعدى مستوى النشاط وتحوّل لسلوك ثقافي اجتماعي ، ويجب التأكيد عليها كهدف من أهداف التنشئة الاجتماعية : لابد من تربية النشء على حب القراءة والمطالعة . وإذا غاب ذلك فلن نستطيع من دفعه وهو كبير لا في الجامعة ولا خارجها . والحقيقة أنّه لا يمكن أن نتحدث عن الجامعي ولا الجامعة دونها ، ولن نجد لها عنده قوّة وهي غائبة في مجتمعه ، لأنّ الطالب والجامعي منتوج اجتماعي ، بل هما واجهة المجتمع وصورة مصغرة عنه ، والأكد أنّه لأمر خطير أن لا يقرأ الطالب الجامعي . إنّ إعداد جيل يقرأ لا يقع على الأسرة فحسب إنّما على المجتمع ككلّ : من أسرة ، مدرسة ، شارع ، مسجد ، دور ثقافة ، وسائل إعلام ... وحتى السلطة ، كلّ حسب موقعه ووفق درجة مسؤوليته .

القراءة ثقافة قبل كلّ شيء ، لاحظنا من خلال نتائج دراستنا أنّه رغم المعنى الإيجابي المسجل نحوها إلا أنّها كسلوك غائبة ، وهي وضعيّة ثقافية تتطلّب التوقف عندها دراسة وتحليلاً ثمّ وضع برامج وتبني استراتيجيات والسهل على تطبيقها .

المراجع :

- 1- الحياة اللندنية ، جريدة انجليزية ، العدد 63150 ، 05 نوفمبر 2008 .
- 2- المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، ط 17 ، بيروت : المكتبة الكاثوليكية ، بدون تاريخ النشر .
- 3- الشروق اليومي ، جريدة جزائرية ، العدد 2458 ليوم 17 نوفمبر 2008 .
- 4- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي . ط 2 ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1980 .
- 5- محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع ، بدون تاريخ النشر .
- 6- عبد الإله عبد القادر ، " قراءات في مفهوم القراءة " . في : الشباب والقراءة في الجزائر ، الجزائر : ابن النديم للنشر والتوزيع ، 2008 .
- 7- Abdelkader Ben cheikh « Production de livres et lecture dans le monde arabe » : Etude sur le livre et la lecture , N° 05, Paris : Unesco , 1985.
- 8- Balhes, Roland « Pour une théorie de la lecture » , IN : Pédagogie et lecture . Actes colloque international de tous , ARLEANS : CRDS, 1973.
- 8- François de Sinply « Les jeunes et la lecture » in : Les dossier éducation et formation . N° 24, PARIS : Ministère de l' éducation nationale , 1993.
- 9- Passeron, J.C, Le raisonnement sociologique. Paris : édition Nathan , 1991 .
- 10- www.alsyasiah.net « le 25 mai 2012 a 15.27 m ».